بسم الله الرحمن الرحيم مدخل إلى فن الخطابة ثالثة دعوة وثقافة إسلامية المحاضرة الأولى

أولا : تعريف الخطابة:

الخطابة فى اللغة : مصدر كالخطاب ، توجيه الكلام نحو الآخرين للإفهام .

وفى الإصطلاح: فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة.

والإقناع: حمل السامع على التسليم بصحة القول ، وصواب الفعل أو الترك .

وقد عرفت الخطابة بتعاريف أخرى لا يتباعد بعضها عن بعض كثيرا ، ولكن من أوضح ما عرفت به الخطابة ما يلى :-

1- مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن فى أى موضوع يراد .

2- خطاب يلقى من فرد على جماعة بقصد التأثير فى نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور .

ومهما يكن من أمر ، فإن الخطابة علم له أصول وقوانين ، تمكِّن الدارس لها من التأثير بالكلام ، وتعرفه وسائل الإقناع بالخطاب ، فى أى غرض من الأغراض الكلامية ، وإن هذا العلم (علم الخطابة) يعنى بدراسة طرق التأثير ، ووسائل الإقناع ، وما يلزم أن يكون عليه الخطيب من صفات وآداب ، وإلمام بميول السامعين ، وما ينبغى أن تكون عليه أساليب الخطبة وأجزاؤها، ولذلك كانت غاية الخطابة عند الحكماء : الحصول على قوة التمكن من الإقناع .

ثانيا:أهداف الخطابة:الخطابة وسيلة من وسائل السيادة والزعامة ، وكانوا يعدونها شرطاً للإمارة ، فهى التى تكمل الإنسان ، وترفعه إلى ذرى المجد والشرف ، وحسب الخطابة شرفاً أنها مَرْكب أصحاب الدعوات من الأنبياء والعلماء ، ومَطِيَّة السَّاسة والعظماء ، والملوك والكبراء ، وهى شأن قادة الأمم ، والعاملين من ذوى الهمم .

والخطابة هي التي تعرِّف صاحبها كيف يمتلك القلوب ، ويستميل النفوس ، ويحرك العواطف نحو ما يريد ، وهى التي تثير الحماسة في النفوس الفاترة ، وتهدئ النفوس الثائرة وهي التي ترفع الحق وتخفض الباطل ، وتقيم العدل ، وترد المظالم ، وهى التى تهدى الضال إلى سواء السبيل ، وتفضَّ النزاع ، وتقطع الخصومات .

فالخطيب البارع يقف بين ذوى المنازع المختلفة ، والآراء المتضاربة ، فلا يزال يبيِّن لهم النافع من الضار ، والصواب من الخطأ حتى يجعل الجميع فى قبضة يده ، والخطيب البارع يقوم بين طائفتين استعرت بينهما نار العداوة والبغضاء فيذكرهم بعواقب التقاطع ، ويحذرهم من نتائجه السيئة ، فإذا القلوب مؤتلفة ، والنفوس متآخية.ولا عجب أن قال النبى عليه الصلاة والسلام " إن من البيان لسحرا " [1] .

ثالثا:طرق تحصيل الخطابة:لاشك أن الخطابة مرتقى صعب المنال لا يصل إليها طالبها بيسر، بل يحتاج مبتغيها إلى زاد عظيم ، وصبر ومعاناة ، واحتمال للمشاق ، ليصل إلى تلك الغاية السامية ، وطرق تحصيلها ما يلى :-

1- قراءة كلام البلغاء : دراسته دراسة متعرف لجوانب التأثير ، وأسرار البلاغة ، ومتذوق لما فيها من جمال الأسلوب ، وحسن التعبير ، وجودة التفكير ... فقراءة كلام البلغاء تقدم للقارئ أنواعاً من المعانى والأساليب ينال منه بيسر وسهوله من غير معاناة . ولا كد ذهن .**2- الثروة الكثيرة من الألفاظ والأساليب :-**وذلك بحفظ كثير من خطب من اشتهر بالفصاحة والبيان فإن الخطابة تحتاج إلى تعابير كثيرة ، حتى يستطيع الخطيب أن يعبر عن المعنى الواحد بعدة عبارات ، وأساليب متغايرة ، لكيلا تذهب جدة المعنى ، ويصيب السأم النفوس . ولا يمد الخطيب بالعبارات المتغايرة المتحدة المعنى إلا ثروة فى الألفاظ والأساليب، وحفظ كثير لأقوال المتقدمين .

3- دراسة أصول الخطابة :-لاشك أن هذه الأصول لابد لها من عوامل أخرى ، إذ هى وحدها لا تكفى ، بل لابد أن يكون معها استعداد كامن ، أو رياضة ومران شديد .... فالقوانين على هذا هادية مرشدة ، تساعد على تحصيل الخطابة بإنارة السبيل ، ولا تكوُّن وحدها الخطيب ، بل هى مهذبة للفطرة مساعدة لها .

4- الإطلاع على كثير من العلوم التى تتصل بالجماعات: كالاقتصاد، والأخلاق، والاجتماع، وعلم النفس ، والأديان ، فإن الاطلاع على هذه العلوم فوق أنه ينمى فكره ، ويوسع مداركه ، ويجعله على بصيرة فى مهمته ، ويضع أمامه المصباح الذى يهديه إلى طرق التأثير ، فيصيب غايته ، وينال غرضه .

5- ضبط النفس وإحتمال المكاره: - قد تعترض الخطيب زوابع من كل ناحية، وقد يقابَل بالسخرية والاستهزاء، وقد يكون المخاطبون ممن يتتبعون عوراته، ويتسقطون هفواته، فإذا لم يتدرع الخطيب بضبط النفس، والسيطرة التامة على إحساسه ومشاعره، لم يستطع السير إلى غايته . وقديماً قال خطيب عربى " لقد شيبنى ارتقاء المنابر " وهو قول يدل على مقدار ما كان يعانيه ذلك الخطيب فى الاستيلاء على نفسه حتى لا يضطرب، ولا تأخذه الحبسة. لذلك نقول يجب أن يربى مريد الخطابة نفسه على احتمال المكاره، والحلم، ومحاربة مظاهر الاضطراب والوَجَل، فإن الاضطراب يورث الحيرة مما يضعف أثر الخطبة فى نفوس السامعين.

6- التدريب والممارسة: إن التدريب والاطلاع، وثروة الألفاظ، والقراءة الكثيرة، والعلم بالأصول الخطابية لا تكفى فى تكوين الخطيب، لأن الخطابة ملكة وعادة نفسية لا تتكون دفعة واحدة، بل لابد لمريدها من المعاناة، والممارسة والمران، لكى ينمّى مواهبه،

[1] روى البخارى عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وفى رواية : " فخطبا فعجب الناس لبيانهما " . والحديث رواه الجماعة بألفاظ مختلفة .

ويعالج عيوبه إن وجد فى نفسه عيباً ، ولا ييأس من إعراض الناس عنه ، فإن كثيراً من الخطباء المبرِّزين ، الُّلسْن المقاويل كانت لهم عيوب كلامية فأصلحوها . وكانت تلك حال كثير من خطباء العرب الممتازين، فقد جاء فى البيان والتبيين للجاحظ: " ويقال إنهم لم يروا قط خطيباً ..... إلا وهو فى أول تكلُّفه لتلك المقامات كان مستثقلاً مستصلفاً أيام رياضته كلها إلى أن يَتَوقَّح وتستجيب له المعانى، ويتمكن من الألفاظ إلا شبيب بن شيبة ، فإنه ابتدأ بحلاوة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ، فلم يزل يزداد منها ، حتى صار فى كل موقف يبلغ بقليل الكلام ، مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره " .

الإستعداد الفطرى: وقد يوجد مثل هذا الخطيب الذي تحدث عنه الجاحظ فلا يحتاج إلى التعلم والممارسة، وتنمية مداركه حتى يكون خطيباً مِصْقَعاً ... وذلك إذا كان خالياً من العيوب الكلامية، من فأفأة ونحوها، وكانت مخارج حروفه صحيحة، وهو فصيح، طلق اللسان، ثابت الجنان.

وخلاصة القول: يجب على مريد الخطابة أن يروض نفسه على الخطابة الجيدة حتى تصير له شأناً، وليست الرياضة فقط لطالب الخطابة، بل هى لازمة لمن شدا فيها، وعظم أمره، وعد من أفصح الخطباء، فقد كان (شيشرون) أخطب خطباء الرومان يتمرن على إلقاء الخطبة قبل أن يقدم على إلقائها، وكانت تلك حاله حتى قتل.